

الذكاء الاصطناعي في يد اليمين: دعاية سوداء ضد المهاجرين

ترجمات
نون بوست

ترجمة وتحرير: نون بوست

واضحًا سماعات أذنه، وسيجارة تتدلى من يده، كان محمد المحمد ينتظر قطارًا في إحدى محطات هامبورغ بألمانيا، عندما غمرته صرخات الرعب. وسط فوضى فرار الناس، لمح بريق معدن بزاوية عينه، فاستدار فرأى سيدة تمسك سكينًا مرفوعًا وموجهًا نحوه.

استجابت ردود فعل محمد الفطرية، فدفع السيدة بعيدًا، وبينما انقض عليها رجل آخر وألقاها أرضًا، ثبتها محمد حتى وصول الشرطة. هناك أفراد الشرطة، وقدموا له فنجان كابتشينو وأغلق الأمر. في اليوم التالي، كجزء من المقابلات التي أجراها مع وسائل الإعلام، التقطت له صحيفة ألمانية شعبية صورة في المحطة، ظهر فيها واضحًا ذراعيه على خصره، مبتسمًا بابتسامة المنتصر.

بعد يومين، أرسل له صديقه رسالة، فلقد تم التلاعب بصورته في المحطة باستخدام الذكاء الاصطناعي التوليدي، حيث تم تصويره أمام خلفيات مزيفة، واستُخدمت كمادة للتعليقات الساخرة حول ما اعتُبر تمجيذًا لفعل محمد. وأظهرت صور أخرى شبيهًا له تم إنشاؤه بواسطة الذكاء الاصطناعي، مما دفع مستخدمي الإنترنت إلى التشكيك في صحة الحدث. وانتشرت الصور على الإنترنت، مما ساعد على نشر حملة تضليل واسعة النطاق في ألمانيا، وغردت السياسية اليمينية المتطرفة ماري تيريز كايترز تحت إحدى صورها، عارضةً "تذكرة لإعادته إلى بلده".

قال محمد: "رد الفعل السيئ بصراحة دمرني بشدة، لأن تصرفي كان إنسانيًا بحثًا. لم أفعل شيئًا خاطئًا، ومع ذلك كان العنصريون يهاجمونني".

بدأت "الحرب الأهلية" في سوريا عندما كان محمد في الخامسة من عمره، والآن يبلغ من العمر 19 عامًا، وقد وصل إلى ألمانيا بعد رحلة شاقة، بعد أن حاول عدة مرات الهروب من الحرب، حتى أن شرطة الحدود ألقته في نهر خلال إحدى محاولاته. وصل إلى ألمانيا في سبتمبر/أيلول 2022 لطلب اللجوء، لكن طلبه رُفض وهو حاليًا في وضعية "دولدونغ"، وهو ما يعني تعليق ترحيله مؤقتًا.

تعد ألمانيا ثالث أكبر دولة مضيعة للاجئين السوريين في العالم، الذين طردوا من بلادهم بسبب سنوات من الحرب الأهلية والاقتصاد المنهار. ومما يفاقم قضية التصوير الإعلامي الإشكالي للاجئين السوريين، وهي قضية حقيقية للغاية، استخدام الذكاء الاصطناعي التوليدي كسلاح دائم التطور من قبل أحزاب اليمين المتطرف مثل حزب "البديل من أجل ألمانيا" الذي تنتمي إليه كايزر.

كان أحمد الكردي، وهو ممثل كوميدي سوري مقيم في ألمانيا، جزءًا من فريق أنتج فيلمًا في عام 2020 بعنوان "في عيوني"، والذي استكشف تصوير وسائل الإعلام للسوريين في ألمانيا من خلال عيون المهاجرين واللاجئين السوريين. يشرح الكردي كيف أن الكثير من التغطية المرئية لأزمة اللاجئين تمت بطريقة خلقت مسافة بين القراء الألمان والمهاجرين السوريين.

على سبيل المثال، وضعت الكاميرات المهاجرين أمام صف من رجال الشرطة، متجمعين في مجموعات كبيرة خلف البوابات، أو في مستوى "أدنى من الشرطة"، مع التقاط الصور من زاوية علوية. هذه القضية لا تقتصر على ألمانيا. فعلى الرغم من التغطية المتعاطفة إلى حد كبير مع أزمة اللاجئين السوريين في أوائل عام 2015 في جميع أنحاء أوروبا، تغيرت الزاوية إلى "الشك"، وفي بعض الحالات، العداء تجاه اللاجئين والمهاجرين، وفقًا لتقرير مجلس أوروبا لعام 2017. وأوضح التقرير أيضًا كيف أن التغطية الصحفية عززت باستمرار خطاب الكراهية والمشاعر المعادية للمهاجرين في بعض أجزاء أوروبا الشرقية.

ويقول سلفاتورى رومانو وناتاليا ستانوش، الباحثان في المنظمة الأوروبية غير الربحية "إيه آي فورينسيكس"، إن روبوتات الدردشة المعتمدة على الذكاء الاصطناعي تعتمد على مواد منشورة مسبقًا لإنشاء خيال واقعي. ووفقًا لتقرير صادر عن مؤسسة كوفي عنان عام 2024، شهدت كل انتخابات وطنية تقريبًا على مستوى العالم منذ منتصف عام 2023 استخدام أشكال من الذكاء الاصطناعي التوليدي.

في بحثهما، يتعمق الباحثان في استخدام الذكاء الاصطناعي التوليدي كسلاح، لا سيما خلال الانتخابات. أحد الأنماط التي كشفت عنها هو "تفضيل بعض أحزاب أو مجتمعات اليمين المتطرف لهذه الأنواع من الصور على وسائل التواصل الاجتماعي... عبر بلدان مختلفة".

وقالت ستانوش: "لم نجد بالضرورة صورًا تعرض قصصًا مختلقة تمامًا... بل كانت بالأحرى مبالغة في أنواع الصور التي قد تصادفها في وسائل الإعلام، ولكنها مصورة بطريقة درامية وسلبية للغاية".

في تقرير صدر عام 2024، كشف الفريق عن صور متعددة تم إنشاؤها بواسطة الذكاء الاصطناعي استخدمها حزب "التجمع الوطني"، وهو حزب قومي يميني في فرنسا، كجزء من حملتهم "أوروبا بدونهم". وتضمنت بعض الصور صورًا تم إنشاؤها بواسطة الذكاء الاصطناعي لقوارب مليئة بالمهاجرين، مع تعليق "أوقفوا الهجرة الجماعية". وكانت هناك صور أخرى معادية للإسلام بشكل صارخ، مع صورة تم إنشاؤها بواسطة الذكاء الاصطناعي لما بدا أنه عالم مسلم داخل جدران مسجد، مع تعليق "[الرئيس إيمانويل ماكرون ورئيسة المفوضية الأوروبية أورسولا فون دير لاين] تواطأ مع الإسلاميين".

وقالت ستانوش: "[الصور] أخذت شيئًا كان مرجحًا بصريًا إلى حد ما ودفعته إلى أقصى الحدود". ويزداد هذا الأمر سوءًا بسبب خوارزميات وسائل التواصل الاجتماعي التي تميل إلى "دفع المحتوى الذي ينتشر بسرعة".

على سبيل المثال، أظهرت دراسة أجرتها جامعة بوتسدام في سبتمبر/أيلول 2024 أن حزب "البديل من أجل ألمانيا" حقق نجاحًا مضاعفًا مقارنة بالأحزاب الأخرى بين الناخبين لأول مرة على تطبيق "تيك توك"، الذين تعرضوا، في المتوسط، لأكثر من مقطع فيديو واحد يوميًا "يتناول محتوى الحزب"، مثل

المشاعر والسياسات المناهضة للهجرة. وأظهرت الدراسة أيضًا أن المستخدمين تعرضوا لتسعة مقاطع فيديو أسبوعيًا من محتوى الحزب، مقابل مقطع فيديو واحد تقريبًا للأحزاب ذات الميول اليسارية. إن خطاب اليمين "أكثر عرضة للتفاقم بسبب هذه الأنواع من الصور"، وفقًا لرومانو، الذي أضاف أن الذكاء الاصطناعي التوليدي "يدفع السردية بالتأكيد ويضيف إليها شيئًا، ولا أرى حقًا أي تأثير إيجابي لهذا".

كانت مشاركة الكردي في إنتاج فيلم "في عيوني" مدفوعة جزئيًا بقصته المروعة عن محاولة الهروب من سوريا. عندما حاول الهروب لأول مرة في سبتمبر/أيلول 2013، تم إيقاف قاربه بالقرب مما يعتقد أنها جزيرة ساموس اليونانية. يضحك بمرارة وهو يروي القصة. "ما زلت أتذكر ذلك الوغد - رجل من مجموعة خفر السواحل - قال لي: 'حظًا موفقًا في المرة القادمة'".

في أقرب نقطة بينهما، تبعد ساموس ميلًا واحدًا فقط عن تركيا. وبمحاذاتها لمحافظة إدلب التي يسيطر عليها المتمردون في سوريا في عهد بشار الأسد، كانت تركيا وجهة أولى شائعة للعديد من السوريين الذين يأملون في بدء حياة جديدة في الخارج. وأوضح تقرير نُشر في عام 2025 من قبل منظمتي "لدي حقوق" و"شبكة رصد عنف الحدود" كيف تستخدم ساموس اليوم "نظام مراقبة ممول من الاتحاد الأوروبي ويعمل بالذكاء الاصطناعي". يستخدم نظامان مطبقان في الجزيرة - "سنتور" و"هايبريون" - الذكاء الاصطناعي لمراقبة أولئك الموجودين في "مركز الوصول المغلق الخاضع للرقابة" شديد الإحكام في ساموس، حيث يتم إحضار اللاجئين، إن لم يتعرضوا لعمليات صد كما في حالة الكردي.

ووفقًا للتقرير، من المحتمل أن يستخدم نظام "سنتور" الذكاء الاصطناعي لجمع والإبلاغ عن الحركات التي قد تكون "عدوانية أو معادية". أما نظام "هايبريون"، من ناحية أخرى، فيستخدم البيانات البيومترية لتنظيم الحركة إلى داخل المركز وفيما بين أرجائه. اقتصر هذا الإجراء على المهاجرين؛ ولم يخضع عمال المنظمات غير الحكومية لنفس الممارسة.

لم يكن معظم المقيمين في المركز على دراية بالغرض من جمع بياناتهم. إن تكنولوجيا المراقبة هذه، خاصة عند حدود تعدد نقطة دخول للعديد من السوريين، لها تأثير على كرامة الإنسان، و"تخلق بيئة من عدم الارتياح والقلق"، وفقًا للتقرير.

وقالت نيكوليت أسزودي، التي كانت سابقًا مديرة السياسات والدعوة في منظمة "ألغوريشم ووتش" غير الحكومية، إنه على الرغم من التشريعات الأخيرة مثل قانون الذكاء الاصطناعي للاتحاد الأوروبي، الذي يدفع نحو مزيد من الشفافية في استخدام الذكاء الاصطناعي في القطاع العام، فإن الهجرة هي أحد المجالات التي لا تتطلب أي شفافية عامة. وأوضحت: "سيتم إدراج الأنظمة في هذه المجالات فقط في قسم خاص من قاعدة بيانات الاتحاد الأوروبي، ولن يكون لدينا أي تدقيق عام".

في عام 2016، وضع الاتحاد الأوروبي اللائحة العامة لحماية البيانات حيز التنفيذ لحماية خصوصية وأمن أولئك الموجودين داخل حدوده. وفي أبريل/نيسان 2024، تم تغريم وزارة الهجرة واللجوء اليونانية ما يقرب من 180 ألف يورو لانتهاكها هذا القانون بطرق متعددة، بما في ذلك نقص الشفافية والامتثال في التحقيقات.

ويمكن لتقنيات معينة تستخدم الذكاء الاصطناعي في مجال الهجرة، مثل أجهزة كشف الكذب واللهاجات، أن تقدم نتائج تُستخدم لتبرير النية الحالية للمشرعين وأصحاب المصلحة. وتشير أسزودي إلى نظام "سيرى" في هولندا، وهو نظام للكشف عن الاحتيال في مجال الرعاية الاجتماعية.

وقالت: "واجهت مشكلة كتابة رمز كان من المفترض أن يستهدف الأشخاص ذوي الخلفية المهاجرة وبالتالي يصفهم بأنهم 'خطرون'. إنه أشبه بإسناد قرار تم اتخاذه مسبقًا إلى جهة خارجية. إنه أمر خبيث

للغاية“.

وقالت ستانوش إن الخطوة الأولى في حل المشكلات التي يسببها الذكاء الاصطناعي التوليدي على الإنترنت هي أن تقوم منصات التواصل الاجتماعي بتصنيف محتوى الذكاء الاصطناعي بدقة على هذا النحو. ومع بناء الخوارزميات غالبًا لتفضيل المحتوى السلبي والمحتدم – كما رأينا في دراسة جامعة بوتسدام – فإن اقتراحها الثاني يصعب تنفيذه.

من وجهة نظرها، نحن بحاجة إلى ”التصالح مع حقيقة أن نموذج العمل الذي يفضل هذا النوع من أنظمة التوصية ربما ليس الأفضل لمجتمعنا، أو لنا كبشر، أو للعمليات الديمقراطية. والدفع نحو الاعتراف بحقيقة أن مسؤولية المنصات، ونموذج العمل الذي يقف وراءها، هي التي تضر بنا جميعًا... إنها عملية طويلة الأمد جدًّا، ولكنها شيء أعتقد أنه يجب أن نتحدث عنه أكثر بكثير“.

وأدت الإطاحة الخاطفة بحكومة الأسد من قبل قوات المتمردين في ديسمبر/كانون الأول 2024 إلى نهاية مفاجئة للحرب الأهلية التي استمرت 14 عامًا في البلاد. وأثار سقوط النظام نقاشات في عدد من الدول الأوروبية حول قضية اللاجئين السوريين. بعد أقل من 48 ساعة من الإطاحة بالأسد، جمدت ألمانيا جميع طلبات اللجوء المعلقة للسوريين. ومع ذلك، فإن العودة إلى وطنهم ليست سهلة أو ممكنة في كثير من الأحيان للسوريين. فمع اقتصاد ممزق واستمرار عدم الاستقرار السياسي، قد تعني العودة إغلاق فصول الحياة التي بنوها في الخارج.

وقال محمد إنه حريص على مواصلة تعلم اللغة الألمانية للعمل ودعم أسرته في سوريا، لكنه غير قادر على القيام بذلك دون دعم مالي. على الرغم من الاستفسارات المتعددة في مكتب الهجرة، يُقال له باستمرار أن ينتظر دون جدول زمني واضح. وهو يركز على تحسين حياته في ألمانيا، بدلًا من التفكير في العودة إلى سوريا.

تساءل: ”أين أعود؟ لا يوجد أمان أو مستقبل. أعود وأموت من الجوع، إلى منزل مهدم؟... لا أريد العودة إلى هناك وأفقد نفسي“.

المصدر: مجلة ”نيولاينز“